الخلاصــــة

استعرضنا في الفصول السابقة طبيعة ديوان كاتب السر في الديار المصرية ثم تطوره في عهد دولتي المماليك البحرية والبرجية من خلال عمل وتراجم متولي هذه الولاية واحدا بعد الاخر0

وتابعنا بشكل خاص ظهور الديوان في مصر من خلال تحليلنا للمصادر التي استخدمت هذا اللفظ عن طريق مقارنة الروايات الواردة في المصادر المتأخرة بما تحويه المصادر المعاصرة والمتقدمة عن المسألة، وايضا قمنا بمتابعة وتحليل لفظة ديوان من جهة، وكاتب السر من جهة اخرى سعيا وراء معرفة دلالاتها الوظيفية والادارية0

لقد توصلنا من خلال تحليلنا للمعلومات الواردة في المصادر عن كل شخصية من شخصـيات كـاتب السر من جهة وظـائفهم وعلاقتهم مع السلطان المملـوكي وممثلي الولايـات الرفيعة في السـلطنة الى الملاحظات الآتية:

1- ان اول ظهور للقب كاتب السر على وجه التحديد في مصر يعود الى ايام ولاية القاضي فتح الدين بن محي الدين بن عبد الظاهر كاتب الانشاء - السر لدى السلطان المنصور قلاوون ثم تلا شيوع اللقب مع كل من جاء بعده من كُتاب الدولة المملوكية الاولى والثانية حتى قيام الحكم العثماني في مصر0

2- نستطيع القول ان جميع المصادر التاريخية تعاملت مع كاتب السر بإعتبار ان حامله شخصية تحتل منزلة الصدارة في الدولة، فضلا عن كونه المتقدم على أقرانه من اصحاب الوظائف، و يحظى بإحترامهم واعترافهم بتقدمه0 بعد ان كانت مهامه مناطه الى الوزير، فهو المشرف على هذا المنصب

الاداري يساعده كاتب خاص ينظر فيما ينفذه من الامور الموجهة له، يقوم على إمرة عدد ثان من الكُتاب يقل ويكثر عددهم بطبيعة الاوضاع السياسية وحاجة الدولة لهم. لذا نلاحظ ان وجود نوعين من الكُتّاب في الدولة العربية الاسلامية طوال مدة حكم الملوك والسلاطين التي حكمتها الى قيام دولة المماليك: الاول يعمل في الديوان بصفته خبيرا لغويا يقوم بتحرير الكُتب والرسائل بما تتطلبه الاوامر المنوطة لهُ. ويقوم الثاني باستغلال أية فرصة يمهد لنفسه للوصول الى رتبة الوزير لأهمية هذه المرتبة بين وظائف الدولة0

3- ادى كاتب السر دورا مهما في خدمة الدولة من خلال الدور الذي لعبه في مساعدة السلطان بالمحافظة على عرش السلطنة، لدوره في التجسس وتوصيل الأخبار المناوئة أولاً بأول خاصة كاتبه في مماليك الشام، فكان ناقلا لأخبار نائب السلطان فيها. لذا اهتم سلاطين المماليك بتشكيل الديوان الإداري واختيار كُتّابه وإداريه، فنلاحظ تقدمه على كل من عداه من أصحاب المراتب العليا في السلطنة وخاصة على نائب السلطنة في مصر والشام سواء، فهو الرقيب على عمل هذا النائب في ممالك السلطنة المختلفة0

4- ظهور مدارس ادارية متنافسة تميزت بتحرير الرسائل والمكاتبات الديوانية كانت اساس قواعد مكاتبات الدولة المملوكية، بل شملت حتى لمكاتبات الدول الاخرى0 فظهرت مدارس ادارية مصرية تمثلت بالكاتب علاء الدين بن الاثير وشهاب الدين بن محي الدين فضل الله وشهاب الدين محمود الحلبي في الشام، لان ديوان الشام كان اداريا تابعا بل ومكملا

لديوان مصر ولان معظم من عملوا به ورأسوه كانوا من الكُتّاب المصرين الذين ينقلون اليه بسبب عقوبة ما او للمحافظه على مصالح السلطان هناك0

5- كان منصب كاتب السر موضع تنافسي بين رجال الدولة المختلفة من الكُتّاب والقضاة وفيما بعد الامراء للوصول الى الامتيازات المادية والمعنوية التي تعطيها الولاية باعتبار ان ممثلها يحتل المنزلة الاولى في الدولة بعد السلطان0

6- ان اغلب كُتّاب سر دولة المماليك البرجية كانوا من المسالمة اليهود – النصارى فيما كان توظيفهم قائما على تقديم أعلى العروض المادية المغرية للسلطان، بعد اختفاء شرط الكفاءة وفصاحة اللسان التي كانت تتميز بها التعينات في البداية0

7- ان معظم كُتّاب سر المماليك البرجية ينتمون الى طبقة القضاة، لكن بعظهم انتحل هذه الصفة لضرورة المخاطبات الادارية المقترنة بكِتابة السر0

8- واجه كُتّاب ديوان السر في عصر دولتي المماليك (البحرية والبرجية) منافسة شديدة من قبل الوزراء الذين غالبا ما كانوا يسعون لاخذ تلك المنزلة المهمة وهذا الدور الذي لعبه كاتب السر عند السلطان، و هذا ما لاحظناه ايام ولاية فتح الدين بن عبد الظاهر كاتب سر المماليك البحرية ومواجهته للوزير فخر الدين بن لقمان، ومن بعده شمس الدين ابن السلعوس، وكذلك مواجهة فتح الدين بن فتح الله التبريزي كاتب السلطان البرجي الظاهر برقوق للوزير سعد الدين بن غراب الذي تمكن الاخير من اخذ سلطة كِتابة السر من التبريزي، ولولا وفاته لما تمكن الاخير من العودة مرة ثانية لكِتابة السر. لذا يمكن القول

ان الوزارة في دولتي المماليك أصبحت واجبها الأساس هو ماليا بالدرجة الأولى، وانتقل ارتباط ممثليها من السلطان الى نواب السلطنة المملوكية0

9- أخيرا كانت كِتابة السر بمصر هي المركز الأساس الذي يرتبط به إدارات كتابة السر في حلب وصفد والكرك وغيرها من نيابات السلطنة، إلا انه يبقى ديوان مصر هو الأهم بين هؤلاء لارتباطه المباشر بالسلطان كونه يصاحب سيده في حله وترحاله0

وأعود للتذكير ان هذه الدراسة ليست أكثر من محاولة لوضع الركائز الأساسية لطبيعة المكننة الإدارية لديوان كاتب السر في دولتي المماليك (البحرية والبرجية)، وتجربة جديدة، يبقى الباب فيها مفتوحاً لكل باحث ليُضفي عليها مزيداً من التوسع والتعمق والرؤية في المستقبل.